

باب المقالات

تطور الأمر وانتقالها

من حال الى حال

ان للاجسام الحية خلايا تتغذى وتزدوج وتلد وتموت فيخلفها نسلها فيكون بها الجسم حافظا لحياته فاذا ضعفت الحياة في الجسم قل تولد الخلايا او كثر فيها الموت حتى يهلك الجسم فتصل أجزاؤه بجسم آخر قوي الحياة فتكون غذاء له كما ترى في النبات والحيوان

ان الحياة مصدر النظام فهي بعمل خلايا الجسم الجزئية تكون خلقا كليا منتظما وان كان لا شعور لكل خلية في ازدواجها بمثلها وإنتاجها بأن عملها ينضم الى عمل أمثالها فيكون خلقا كبيرا له في الوجود مظهر عظيم وعمل حيوي منتظم ان مدار حياة الاحياء الصغرى كالخلايا والكبرى كالشجر والبقرة على الخليقة وما فيها من سنن النظام وقلما يحتاج شيء منها الى عناية مدبر مختار من جنسها الا الانسان فانه في افراده وجمعيته لا يستغني بالطبيعة عن تهادد بعض افراده ببعض بالعناية والتربية الشخصية والاجتماعية

ان لهذه الاحياء الصغرى التي تتكون منها العوالم الكبرى أمراضا وهذه العوالم نفسها أمراضا وان لكل مرض علاجا ودواء وان العلاج اذا صح يحول دون انهاكه لقوة الحياة أو الذهاب بها مادام الجسم الحي مستمدا للحياة أي ما بقي من عمره الطبيعي بقية

ان معالجة مرض ما تتوقف على العلم بحال ما عرض له المرض من حيث هو حي له مزاج يصح باعتداله الفطري ويمرض بأعراض تخرجه عن الاعتدال والعلم بما سبق عروضة له قبل المرض الاخير الذي يحاول علاجه وبحقيقة هذا المرض واسبابه والعلم بالدواء وبالطريقة المثلى في المعالجة

ان الانسان أغرب الأحياء على هذه الأرض والعوالم التي تعرض لحياة أفرادهم فبعضهم أو قتلهم هي أخفى مما يعرض لغيره من الاحياء النباتية والحيوانية على

كثرة بحثه عنها وعنايته بمعالجتها ولذلك يقل في الناس من يصل الى نهاية العمر الطبيعي ويقل فيهم من يعيش سليما من الامراض والاسقام كالشجر والحيوان الأعجم
ان حياة الانسان الاجتماعية امراضا كما ان حياته الشخصية امراضا وان
معالجة الامراض الاجتماعية أعسر ، والتحقق بشروطها أندر ، ففي كل جيل من
الاجيال ، ينبغ في الامم المشتغلة بالعلوم والفنون كثير من العلماء الإخصائيين ، والصناع
الماهرين ، وقد تمر قرون وتنطوي اجيال ، تخلق فيها أحوال وتتجدد أحوال ، ولا
يمت طبيب اجتماعي في الأمة ، يرفقها من الخضيض الى القمة ،
ان حياة الأمة التي ليس فيها أطباء اجتماعيون ، وهداة روحانيون ، تكون دون
حياة الخلايا في الدوح ، وحياة النجم والشجر في الروض ، لأن حياة النبات قلبا يعوزها
شيء وراء الطبيعة وسننها في بلوغها غاية ما اعدتها حكمة التكوين له من النظام
والكمال الشخصي والنوعي وحياة الانسان لا بد فيها من المربي لتصل الى كمالها فاذا
فقد المربي كان الناس فوضى لا يصلح لهم شأن ولا يستقيم لهم أمر . وافراده حينئذ
يشبهون خلايا الاجسام من حيث جهل كل واحد منهم بنسبة حياته الى حياة غيره
وتأثيرها في الاجتماع وغايتها في الوجود على أن أفراد الانسان تشعر بعملها الجزئي
ولكن يقل فيهم من يشعر بتأثير عمله في الأمة فيتحرى فيه مصلحتها ويعرف
اندماج مصلحته فيها

اذا تمهد هذا فاسمع ما ألقى عليك بشأن الامم الاسلامية في حياتها الاجتماعية .
إشارة الى بدايتها وعبارة عما صارت اليه في هذا العصر يكون مثالا لانتقال الامم من
طور الى طور من غير تصور ولا شعور

أطوار الأمة الاسلامية

كانت هذه الأمة في نشأتها الأولى تنفذ الرجل من أبنائها الى المملكة
فاتحا فيكون خيرا قائدا في إبان الحرب ، وخيرا حاكما في زمان السلم ، يقيم العدل ،
ويعمر الأرض ، ويؤمن الرعية ، ويستبدل الحرية بالعبودية ، فيرى أقل رعيته ولو من
غير أهل دينه وجنسه أنه مساو له في الحقوق والحرية بحيث لو نال منه نيل فشكاه
الى الخليفة الذي أنفذه لأقاده منه كما حاول عمر أن يقيد ذلك الصعلوك من جبلة

بن الأيهم ملك غسان لولا انه فر هاربا بهذا اتسع ملك الأمة وانبثت حياتها العالية في أمم كثيرة فأحييتا وجددت للناس مدنية لم يسبق لهم عهد بمثالها بل لم يكتحل ناظر الزمان بنظيرها حتى هذا اليوم الذي نرى فيه من آثار العلم والاجتماع ما لم ير من قبل فان انكسروا وهي أعدل دول أوروبا لانساوي بين آحاد أبنائها وبين أمراء الهند فضلا عن ان تساوي بين لورداتها وسلاثل ملوكها وبين صماليك مستعمراتها ، وان الخلفاء الراشدين ما كانوا يميزون لأبنائهم ان ينفقوا ألوف ألوف من بيت المال في سياحتهم لأجل ان ينفخوا في الرعية روح عظمتهم ويشعروا سكان مستعمراتهم بمكان بأسهم وقهرهم كما أجازت بريطانيا العظمى للبرنس أوف ويلس ولي عهدنا في سياحته الاخيرة . فمثل هذا العمل تقرير لاستملاء المالكين واستئلال الحكوميين فهو جناية على البشر الذين لا يصلون الى الكمال الاجماعي الا بكامل المساواة التي لا يفضل فيها أحد أحدا الا بفضائله وأعماله كما قرر الاسلام هذا الروح الذي نفخه الاسلام في المعتصمين به حتى كان الرجل الامي أو شب الامي منهم يعمل في سياسة الممالك ما يعجز عنه الفلاسفة والحكماء قد كان من شأنه أن يستولي على العالم كله فيصلحه لولا أن الملوك الظالمين وأعوانهم من الفقهاء الجامدين قد أفسدوا جسم هذه الأمة فلم يعد مستعدا لحل هذا الروح والحياة به . فاذا كان عمرو بن العاص قد فتح مصر بم جيش صغير فأحيها بالعدل وحسن الادارة حتى وصل النيل بالبحر الاحمر وأخى بين هذا القطر وبين الحجاز (وهو ممن لم يدخل المدرسة الحربية ولا مدرسة الحقوق ولا مدرسة الهندسخانه) فقد صار القطر الاسلامي العظيم يستعبده عدد قليل من الاجانب وصار المسلم المتعلم الحامل للشهادات العالية التي يظن انه يفضل بها علماء سلفه كعمرو بن عفدالي قطرا اسلامي كاليمين اليوم وكالسودان بالامس فيني في الارض ، ويجئي على العرّض والعرّض ، فيتزك الارض موطونة ، والاموال مسلوقة ، والدماء مسفوكة ، والاعراض مهتوكة ، حتى أنت الارض من حكم كل مسلم عليها ، واستغاثت السماء من سلطة كل مسلم تحتها ، وسمع رب البرية أنين

المظلومين وبكاه الباكين ، (ر ١٤ : ١٣ فأوحى اليهم ربهم تهلكن الظالمين *)
بما جاءهم على لسان النبيين ،

عمّ الظلم فأفسد الأخلاق وأضعف النفوس وطبع على قلوب الأمة بطابع القهر
والعبودية حتى لا أمر بمعروف ، ولا نهى عن منكر ، ولا تعاون على بر ، ولا تناصر على
رفع ضرر ، فذهبت ريح الدولة وقوة الأمة واستعد الفريقان بسلمهم لنقمة الله
تعالى بدلا من سابق نعمته فكان تقديس ظلّ الحاكمين الظالمين عن رؤوس
المظلومين الخاضعين بأيدي الاجانب لا بأيد الأمة وبهذا كان الانتقام عاما
ولو كانت الأمة هي التي هبت لإزالة الظلم بأيديها وأخذ صولجان الحكم بيدها
لكان الانتقام خاصا بالظالمين ولبقي للأمة عزها ومجدها

دبّ الفساد الاجتماعي في جسم الأمة فلم تشعر به فتعالجه فكان أفرادها
يقدمون الشعور بما يحلّ بهم وبما يكون من عاقبته في مجموعهم كخلايا الشجرة
أو الثمرة يمرض الفساد بجانب منها ولا تدري حتى تفسد جميعها . ذلك أن الظالمين
بدأوا بإزهاق روح التكافل الذي يربط بعض الأفراد ببعض فيكون سببا لسريان
شعور المجموع بما يطرأ على الأفراد وانفعال المزاج الكلي بذلك واندفاعه الى
دفع العرض الطارئ ، قبل سريانه واستشرائه فإن من طبيعة الجسم الحي أن
ينفعل مزاجه بما يمرض لاي عضو من أعضائه فيوجه قوته لدفع المرض بإعانة ذلك
العضو عليه ألا ترى أن الدم يكثر ووروده على الدماغ عند انهماكه في الفكر
والى المعدة عند اشتغالها بالهضم والى نحو اليد يصيبها برد أو ضرب . والأمة الحية
كالجسم الحي توجه قوتها الى إعانة كل فرد من أفرادها يصيبه ضرر أو يرهقه
ظلم حتى تدفعه عنه أو تنجز فتكون من المالكين كما اذا عجز المزاج الصحيح في
جسم الحيوان عن دفع عوارض الفساد بنفسه أو بمساعدة الطبيب فإن الفساد
يطلب حينئذ على الجسم فيفسده

كيف أزهاق الرؤساء المفسدون روح التكافل في جسم هذه الأمة ؟ حولوا
السلطة من الشورى الشرعية الى الأثرة الاستبدادية ، وفرقوا بين المسلمين في
الجنسية ، فقالوا عربي وعجمي ، وفارسي وتركى ، وفي اللغة ، فقالوا لغة رسمية ولغة

دينية ، وفي المذاهب فقالوا سني وشيعي ، وحنفي وشافعي ، وفي الوطن فقالوا مصري وشامي ، ومغربي وحجازي ، وإذا كنت تظن ان هذا الضرب الاخير من التفريق اهون ضرره شرافانا ذكرك كلمتين لرئيس ديني ورئيس دنيوي تعرف بهما مبلغ تسم جسم الامة الاسلامية بسم الوطنية . رأى عالم من علماء الدرجة الاولى بل شيخ من مشايخ الازهر السابقين يلقب بشيخ الاسلام خطيبا شاميا في جامع مصر فقال ان هذا الجامع حسن وموقفه عظيم «ولكن من الاسف حشوه بالشوام» وقال رئيس كبير من رؤساء الدنيا في معهد من معاهد العلم الديني - وقد رأى فيه حشرات كثيرة للطلاب من قطر غير قطره - : ماذا فعل لنا هؤلاء ... حتى نعطيهم كل هذه الحجرات وأهل البلد أحق بها منهم : أو ما هذا معناه . على انه لم يكن هو الذي أعطاهم وإنما تلك أما كن وقفها عليهم أناس آخرون من غير قوم القائل ومن غير وطنه

هناك إفساد آخر هو أشد من كل إفساد وهو الحيلولة بين المسلمين وبين هداية القرآن الذي جعل أمر المسلمين شوري بينهم لاني ايدي أفراد يستبدون فيهم وفرض عليهم مقاومة الظلم والافساد في الارض بقوة الامة وغير ذلك مما يحفظ حياة الامة بل ينميا حتى تبلغ كما لها ولولا هذا الافساد لما تم الظالم ولا لفسد ما أراد

سرت كل هذه الامراض في جسم الامة الاسلامية من حيث لا يدري الافراد ولا يشعرون كما علمت من التمثيل السابق وكان من عواقبها ان أكثر الممالك الاسلامية خرجت من ايدي المسلمين وما بقي لهم فهو في طور التزعزاع ولكن هذا مصر يمتاز على ما قبله بشعور كثير من أفراده بأن الامة في مرض ، ودولها في حرض ، فاذا لم تبادر بالعلاج ، تم فساد المزاج ، وأجهز عليها الظالم ، فهلك المحكوم في أثر الحاكم ،

بهؤلاء الافراد على قتلهم وضعفهم أنشأ المسلمون يستعدون لاستعادة ما فقدوا من مزايا الانسانية ولكن المفسدين لم يغفلوا عن مراقبتهم فهم يجتهدون في ايمامة شعورهم بالضغط والاضطهاد تارة وبالرتب والرواتب تارة أخرى ومن ثبت على نار الفتنة اضطرت الى الفرار من ديارهم الى ديار أخرى يأمن فيها على نفسه أن

تفتال ، ويجد فيها حرية فكره ولو بعض المجال ، والانفوه الى بلد قفر ، أو جزيرة في البحر ، حتى لا ينتشر له فكر ، ولا يسمع له ذكر ،

وجهة القول ان المسلمين كانوا أحياء بالاسلام نفسه على بصيرة وبينة ولما عرض لهم حلم الفساد اضطرب مزاجهم فتداعوا الى ازالته فحال دون ذلك تحول السطة الاسلامية عن صراطها ثم ضعف الشعور بفعل هذا الحلم بحسب الأمة اقوة مزاجها و ضعف سائر الأمم دونها ثم خدر المرض أعصابها فكان الحلم يفعل فعله وهي لا تشعر حتى عم الفساد كل عضو من أعضائها - ونعني بالأعضاء الشعوب والفرق التي انقسمت اليها وحدة الأمة - فلا يوجد شعب إسلامي حي ولا حكومة إسلامية الا وهي تفقد ما بقي من رسوم الاسلام وتجد في إيسال أهله الا ما يقال عن حكومة الألفان من عنايتها بمحفظ استقلالها بالقوة العسكرية الحديثة وهذا ضروري ولكنه غير كاف كما نرى في تركيا فلا بد من نشر علوم الكون في الأمة واعدادها للحكومة المقيدة بالشورى والا كانت من الهالكين

أما ذلك الشعور الذي تجدد لأفراد من المسلمين فهو لا عمل له في مملكة من ممالكهم الا اعدادا بطيئا للانتقال الى طور آخر مجهول لعامتهم ، وهشكوك فيه عند خاصتهم ، لا يدرون أيكون مرضا مضمئيا ، أم موتا مرديا ، أم يكون حياة سعيدة ، وسيادة جديدة ، أساسها العلم والعدل ، وغايتها العمران والفضل ، فتمهم اليأس يزيد في الافساد ، ومنهمم الراجي يدعو الى سبيل الرشاد ، وهكذا شأن الامم في طور الانتقال ، لا تستقر من الاضطراب على حال ،

من أسباب يأس اليائسين أن المسلمين قد خرجوا بتقسيم رؤسائهم ايهم الى شعوب وأجناس ومذاهب عن كونهم أمة واحدة فلا فائدة في كثرتهم ، ولا رجاء في وحدتهم ، وانما يجب الحكم عليهم بحسب حكوماتهم سواء كانت منهم أو من غيرهم فقد أعدم الظلم والاستبداد لان يكونوا عبيدا لمن يحكمهم . واذا نظرنا في حال حكوماتهم وجدنا الاسلامية منها أسرع في الاجهاز عليهم من الأجنبية (ونعني بالاسلامية المنسوبة الى المسلمين لاما كانت على قواعد الاسلام فان هذه لا وجود لها في الأرض) فاذا كان من الضرور أن نرجو حياة الشعب الجاوي

تحت سلطة هولندا والمغربي تحت سلطة فرنسا مثلاً فمن الجنون أن نرجو حياة الشعوب
الغربية المتمزقة تحت سلطة تركيا والشعب الفارسي تحت سلطة حكاه ومجتهديه .
ذلك بأن حكومات الأجانب على منها النور الحقيقي ان ينفذ الى عقول المسلمين
فيحييهم بحرارة وهداية لا سلطة لها الا بقوتها الحسية على الاجسام وأما الحكم
المسلمون فانهم سلطين - القوة الحسية على الاجسام والقوة المعنوية في الأرواح
لان المسلمين توارثوا الاعتقاد بوجود الخضوع لهم على أنه من الدين وقلم يوجد
فيهم من يعلم أن من أعظم قواعد الدين انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا حكم
الا لله ومن استحل الحكم بما يخالف القواعد الشرعية المنصوصة كان مارقاً من الاسلام
(٢٤:٥) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهؤلاء الطارفون على
قلتهم الا يسبح لهم الاستبداد بنشر عليهم في الأمة ثلاث تدمت لإقامة الشريعة على
أساس الشورى فتبطل سلطتهم الاستبدادية التي تنطوي في باطنها نزعة الألوهية .

ويقول هؤلاء اليائسون أيضاً ان الأوربيين الذين استولوا على أكثر بلاد
المسلمين يتر بصون باقيا الدوائر وحكامها يهدون لهم السبل بالظلم والقضاء بالجهل
على العلم وباقتراض الاموال منهم ومنحهم «الامتيازات» في بلادهم وهم يجتهدون
دائماً في الاتفاق على قسمتها بينهم فلا يمر عقد من السنين الا وراهم قد اكتسبوا
حقاً جديداً فيها أو قصبوا ظل نفوذنا عن ولاية منها ثم هم أقدر البشر على سياسة
الأمم والتصرف في الشعوب فاذا دخلوا ولاية قبض أفراد منهم على قواها المالية
والعسكرية والعلمية والأدينية ودلوا الأمة لسطانهم فهم يسخرونا لخدمتهم
بقوتنا ، حتى لا يدعون لنا سبيلا الى استعاطا في منفعتنا ، وأعظم مظهر لسياستهم
العليا فيأن سلطتهم تكون أقوى وأرسخ وربهم يكون أكثر وأسهل في البلاد
التي يتقون فيها لنا اسم السطة ويرضون بمناها لأنفسهم فهم يستعبدوننا بواسطة
استعبادهم لحكامنا الذين أنسنا بالعبودية لهم . فأين موضع الرجاء لهذه الشعوب
لجاهالة المتفرقة المستعبدة مع هذه الامم العالة المستقلة المتحدة ؟؟

هذا جعل احتجاج اليائسين من أهل الشعور بما ينذر المسلمين من الخطر فرأيتهم ان
طور الانتقال الذي هم فيه سينتهي بطور دخولهم تحت سلطة الأجانب وزوال استقلالهم

من الوجود زوالاً أبدياً كما زال استقلال بني إسرائيل الآن يحدث في العمران انقلاب كبير لا دليل عليه الآن

وأما أهل الرجاء - ونحن منهم - فأنهم يعرفون ما يحتاج به أهل اليأس ولا ينكرونه ولهم نظر آخر أبعد، ورأي أسد - إن شاء الله - وأرشد، يؤيدونه بآيات الوحي، ويستدلون عليه بطبيعة العمران وشؤون الاجتماع، ولا يتسع هذا المقال لشرح ما يجوز نشره منه، وأنا نوجز القول فيما لا مندوحة عنه .

ان المسلمين - وان اختلفوا في اللغات والمذاهب والأوطان والحكومات - يتفقون في أمر واحد تبعه أمور جوهرية من ناحيتها يدعون إلى ما يحبيهم ويجمعهم أمة عزيزة تشعرها وحدة الاعتقاد بأن لها مصلحة واحدة يجب على شعوبها الاتحاد والتكافل في سبيلها وإن ظلوا على اختلافهم في تلك الأمور العظيمة حتى إذا ما انتشرت الدعوة إلى الأمر المتفق عليه (وهو القرآن) استتبعت الوحدة في اللغة والوحدة في المذهب أو اتفقت الافتراق في المذاهب وصار كل شعب من شعوب المسلمين قوة للآخر وعوناً له وظهيراً على بعد الدار وقربها واختلاف الحكومات والاجناس ولا تسألني عما يكون بعد ذلك وأنت ما تعلم ما يكون قبله

الدعوة إلى القرآن تستتبع الدعوة به إلى جميع العلوم الكونية من طبيعية واجتماعية لأجل تكميل النفس بعرفان حكم الله في صنعه وإبداعه ولأجل تعزيز دينه بآثار تلك العلوم وتستتبع طلب المزيد من نعم الله ومساهمة الأغنياء والاقوياء للفقراء والضعفاء في هذه النعم بأداء الزكاة وغيرها من الصدقات التي تقوم بها المصالح العامة والخاصة وتستتبع حكم الشورى وإقامة العدل وغير ذلك من أركان السعادة . فإذا وفق الدعوة لإقناعهم بهذا وحملوهم عليه فقل قد نفخت فيهم روح الحياة التي لا موت بعدها . نعم ان هذا الإجمال لا يقنع القاري بهذه الدعوى وإن التفصيل مع بيان الدليل لا محل له هنا على أن شرح ذلك إنما يفيد أهله الذين استعدوا للقيام به دون من يقرأ لأجل التسلي أو الانتقاد كما هو شأن أكثر الناس بينما في مقالة الحياة المليية من المجلد الثامن شيئاً من حقيقة هذه الحياة التي هي محل رجائنا وذكرنا هناك العلوم التي نحتاج إليها وكيفية تمهيد المقبات التي

نُعترض في سبيلها وننحن الآن في حاجة الى بيان ان المسلمين في طور انتقال من حال الى حال وأن هذا الطور شبيه بطور النخلة من مرض نخشى عاقبته، ولاتو من نكسته، وانهم محتاجون فيه الى الأطباء الروحانيين العالمين بأدواء الاجماع وطرق معالجتها والا سيقدم الأجنب لنحويل الأمة في هذا الطور الى حياة مذنبية ينقطع كل رجاء للاسلام فيها

ثبت بالتجربة والاختبار أن المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون أمتهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فاناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا أم فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الأمة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين أيدي الاجانب فهم الذين يودعون فيها وينقشون في أواحها المستعدة ما ير يدون على علم منهم بنهايته وأثره . ومما نشاهد من أثره أن اكثر المتعلمين لا قيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس أكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحلون ولا يحرمون وإنما هم أكثرهم التمتع باللذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة . ثم هم مع هذا مغرورون بأنفسهم يحسبون أنهم أرقى من سلفهم الصالح عقولا وأرجح أحلاما وأوسع علوما وأفضل آدابا وأقدر على الأعمال الاجتماعية، فلا الدين عرفوا، ولا حب الأمة أشربوا، وكيف وهم على جهلهم بشريعتها يجهلون تاريخها الذي لم يتفضل عليهم ساداتهم الاجانب بشي حقيقي منه الا بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بغير صورتها وألبسوها غير لباسها واستنبطوا منها ما لا تدل عليه من العيوب والمساوي . وغفل متعلمونا الاذكياء عما اعترف به المنصفون من فلاسفة اساتذتهم المتصرفين في عقولهم وقلوبهم من حيث لا يشعرون من تعظيم شأن مدنية الساميين الاولين الذي أقاموا ميزان العدل بعد ميله وأحيوا موات العلم بعد موته كما غفلوا عن أنفسهم التي لم يوجد لها في الارض أثر يحمد فلا رفعوا أمة من سقطتها ولا أحيوا دولة بعد موتها، ومالي لا أذكرهم بتعصب أساتذتهم لدينهم والسعي في نشره بما يبذلون من الملايين، لجمعيات الرهبان والقسيسين .

كلا ان القصد الى بيان حال المتعلمين في مثل مصر والاستانة وانهم كالأعلامه

في جهلهم بعاقبة علمهم وعملهم في الأمة فكل واحد منهم يفكر في خويصة نفسه فهو يتعلم لغاية يجعلها نصب عينيه وهي رزق مضمون يتمتع به كما يتمتع خواص قومه. يعذر التلميذ في هذا ولا يهاب لأنه لا يتوجه الا حيث يرجه معلمه ومربيه فمن لم يكن له أم ولا أب ولا معلم ينفخ فيه روح حب الأمة والملة لا يرجي ان يهتم بجمل حياته الشخصية ركنا من أركان حياة أمة الملية بذل شيء من وقته وشيء من فضل ماله في خدمتها وإعلاء شأنها .

إذا كان الكمال الشخصي يتوقف على حسن تربية الشخص البدنية والنفسية فهل يمكن ان يكون الكمال الاجتماعي بالمصادفة والاتفاق أو بترك معظم نشأة الأمة فوضى والقذف بمن يراد تعليمهم من الذكران والانات الى الاجانب حتى الجزويت والفريير ينقشون ألواح نفوسهم بما يشاءون؟؟

هذه الحال التي نرى عليها أكثر الذين تعلموا العلوم المصرية والتي يظن أن سيكون عليها وعلى ما هو دونها من يتعلمون الآن تصلح ان تكون حججاً لليائسين من اصلاح حال المسلمين ولكن أهل الرجاء يرون في اثناء هذه الظلمات المتكاثفة بصيصاً من النور يوشك ان يتألق فيقشع كل ظلمة وبظهور صراط الحق للسايرين. يرى البصير في مصر والهند نابذة على شيء من استقلال الفكر ويرى في روسيا نابذة لم يعمل في أرواحها سم الاجانب عملها في غيرها وهي مع ذلك تطلب العلوم والتربية لأجل الحياة، ويرى في الاستانة نفسها على شدة الهيمنة فيها على الافكار والمراقبة على العلم نابذة تلتهب غيرة وتشعر من معنى الاستقلال بما لا يشعر به سائر المسلمين ويرى في ايران هزة جديدة، وحركة يرجح ان تكون مفيدة، ويرى في تونس حركة أخرى حيوية، تغوزها نفحة من نفحات الحرية، وليس استقلال الفكر هو كل ما استفادتنا من الاجانب بل أصابهم نفحة من نفحات الحياة الاجتماعية . فهذا الخير يتنازع مع تلك الشرور في هذه النفوس الضعيفة ولا يعوز الأمة الآن الا اطباء الروحانيون والزعماء الاجتماعيون الذين يشرفون على الأودية والعرع والسواقي التي تجري فيها سيول الحوادث الجديدة بالامة ويقدررون على تحويلها الى حيث تكون محيية لأرض الأمة

مارأيت لكاتب في هذه البلاد كتابة ولا علمت لعامل عملاً ينبيء بمراقبته

